

## عاقبة المتقين



«إنَّ المتقين يحشرون في جان الخلد، جزاءاً بما عملوا من الصالحات في حياتهم الدنيا (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفُودًا \* وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرُودًا) (مريم/ 85-86). والمراد بحشرهم إلى الرحمن حشرهم إلى الجنة وإنما سمي حشراً إلى الرحمن لأنَّ الجنة مقام قربه تعالى فالحشر إليها حشر إليه. أما المجرمين الكافرين المفسدين في الأرض فإنَّهم يركضون إلى جهنم كما يجري الضمآن إلى مجرى الماء جزاءاً بما كانوا يعملون. وورد أنَّ الإمام عليّ (ع) سأل رسول الله (ص) عن تفسير قوله عزَّ وجلَّ: (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفُودًا) قال (ص): "يا علي الوفا لا يكون إلا ركباناً أولئك رجالٌ اتقوا الله عزَّ وجلَّ فأحبهم واختصهم، ورضي أعمالهم فسامهم الله متقين".

(إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ \* فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ) (القمر/ 54-55). يضع القرآن الكريم المتقين في هذه الآية في جنات عظيمة الشأن، جليلة الوصف، والنهر قد يعني الجنس، أي النهر المصطلح عليه، وقد يعني السعة. والمراد بالصدق صدق المتقين في إيمانهم وعملهم، ولعلَّه يراد بمقعد صدقٍ إنَّ مقامهم فيه صدقٌ لا يشوبه كذبٌ مع نعيم دائم عند الملك الجبار المقتدر سبحانه وتعالى. وهذا ما يسرَّ قلب كلِّ إنسان متقي بما وُعدَّ من الثواب والحضور عند ربه المليك المقتدر. يقول النبي (ص): "يا أبا دجاجة أما علمت أنَّ من أحببنا وابتلي بمحبتنا أسكنه الله تعالى معنا؟ ثم تلا قوله تعالى: (فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ)".

إنَّ المتقين يوم القيامة في درجات عليا حيث النعم الوافرة والرزق الكريم، وهم ينظرون إلى تحتهم فيرون الكافرين الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا، يئنون تحت العذاب الأليم.. (زَيْبَانِ لَيْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهِ يُرْزِقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ)



فِيهَا كَأَسَاسًا لِّلْعَوِّ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ) .. ومن صفة هؤلاء المتقين أنهم كانوا ذوي إشفاق في أهلهم حيث يعنون بسعادتهم ونجاتهم من مهلكة الضلال فبنوا فيهم روح الإيمان والدعوة إلى الله سبحانه .. وصدق الله سبحانه عندما وعد المتقين بإيراث جنات الفردوس، فقال: (أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ \* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (المؤمنون/ 10-11).

وتستمر الآيات القرآنية الكريمة في وصف حال المتقين في الجنة... فتقول: (وَسَيَقِي السَّادِينَ اتَّقُوا رَبَّ هُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طيبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ \* وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ قَوْلًا وَعَدَّه \* وَأُورِثْنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنَعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ \* وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَفُضِي بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الزمر/ 75-73). ووعد الله المتقين بتزويجهم من الحور العين اللاتي لا يرين أحدًا غير أزواجهن، وهن ذوات غنج ودلال، وهن متشابهات لا يختلفن سنًا أو جمالًا، وكلما زاد أزواجهن نورًا وبهاءًا زدن حسنًا وجمالًا.. يقول تعالى: (هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ \* جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْتَدَّةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ \* مُتَّكِفِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ \* وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ \* هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ \* إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ رِزْقَادٍ) (ص/ 54-49). (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا \* حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا \* وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا) (النبا/ 33-31).

ويصف القرآن حال المتقين في الدنيا في معرض حديثه عن حالهم في جنات النعيم في الآخرة، فيقول إنهم كانوا قليلًا من الليل ما ينامون ويهجعون، ذلك أنهم كانوا مشغولين بالصلاة في الليل فيسألون الله المغفرة والتوبة، هذه سيرتهم مع الله سبحانه وتعالى حيث قيام الليل والاستغفار بالأسحار.. أما سيرتهم مع الناس فإنهم يعطون الفقير والمظلوم والمحروم، ولا يريدون من هذه الدنيا ولا من لباسها شيء.. (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَلِيلًا قَلِيلًا \* كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّائِقِينَ \* مَا يَهْجَعُونَ \* وَالْأَسْحَابُ هُمْ يَسْتَعْفِفُونَ \* وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْيَسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ \* وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ \* وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ \* وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ) (الذاريات/ 22-15).

ويضيف القرآن الكريم صفات أخرى للمتقين، فيقول إنهم أولئك الذين يخافون الله غائبًا فيخشونه بالغيب، وتخضع قلوبهم لذكره، ويحفظون ما عهد الله إليهم.. يقول تعالى: (وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ الرِّحْمَانَ عِزْرًا \* هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ \* مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ \* ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمِ الْخُلُودِ \* لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) (ق/ 35-31)، والنتيجة أن المتقين أهل الجنة يملكون كل ما تعلق به مشيئتهم وإرادتهم فلهم الخيار والمشية فيما يريدون، وهذا تكريم لا يوصف من الله سبحانه وتعالى..

ويتطرق القرآن الكريم إلى ثبات المتقين يوم القيامة في موقع آمن تحيط بهم الجنان الخسراء والعيون الجارية والحور العين ملائكة الجنة الجميلات "وهن غير نساء الدنيا الداخلات في الجنة"، هذا المكان الآمن في طرف، والمجرمين والكافرين في طرف آخر حيث العذاب الأليم والخزي الكبير.. (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ \* فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ \* يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ \* كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ \* يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمْنِينَ \* لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ \* فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (الدخان/ 57-51). والآية تؤكد على أن حياة الجنة أبدية خالدة، حيث لا موت فيها ولا فناء، والموتة الأولى في الآية تعني موت الدنيا.. والواقع أن الإنسان إذا فاز في الحياة الأخرى فإنه حقا فوز عظيم، وكيف لا، وإن الحياة الأخرى لا نهاية لها، فإما نعيم مستمر، وإما عذاب لا نهاية له.. (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ \* أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ \* مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) (القلم/ 36-34)، (أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) (ص/ 28).

في يوم القيامة - كما يصور القرآن الكريم - ترى الناس يتنازعون فيما بينهم، كل يتهم الآخر، ويلومه على دعوته إلى الضلال، فالأخلاء والأصدقاء يومئذ بعضهم لبعض عدو باستثناء المتقين. وهذا الاستثناء حاصل حتى في الحياة الدنيا، عندما تشتد الأمور وتضيق الحال فترى المتقين متعاضدين متآخين، يجمعهم الإيمان بالله والسير نحو مرضاته.. وغيرهم يلوم أحدهم الآخر.. يقول تعالى: (الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ \* يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ \* الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ \*)

ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ \* يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ \* وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ \* لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ (الزخرف/ 73-67). وفي الخطاب القرآني الكريم تأمين للمتقين من وقوع المكروه وموارد الحزن، خاصة وأنَّ فيها أقصى ما يتمتع فيه الإنسان، فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذُّ الأعين، وفي حديث الرسول (ص): "إذا كان يوم القيامة انقطعت الأرجام وقلبت الأنساب، وذهبت الأخوة إلا الأخوة في الله وذلك قوله: (الأخلاءُ يومئذٍ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المؤمنون)".

إنَّ المؤمنين المتقين الذين ارتكبوا المعاصي والآثام قبل إيمانهم سيكفَّر الله عنهم سيئاتهم، ويغفر لهم ذنوبهم، ويجزيهم أجرهم بإيمانهم وأعمالهم وإحسانهم.. ولذلك ذكر القرآن الكريم: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ \* لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ \* لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الزمر/ 35-33)، (قُلْ أَدْرَأَيْكُمْ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَّ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَاصِيراً \* لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَيْهِمْ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْتَوْلاً) (الفرقان/ 16-15).

لقد دعا الله سبحانه وتعالى المؤمنين إلى تقوى الله وإلى ذكر الله في كلِّ الأعمال التي يقوم بها الإنسان، ودعا المؤمنين إلى أن لا ينسوا الله فينسون أنفسهم، ولينظروا إلى أعمالهم التي تدور على ضوئها عجلة الحساب يوم القيامة، وإن كانت غير ذلك، فليراجعوا أنفسهم ويتداركوها بالتوبة والندم، فإنَّ النظر إلى ما قدِّمت النفس من شيء إلى يوم القيامة، كمحطة الفحص في الحياة، فإن كانت المادة المفحوصة جيدة أخذت طريقها إلى الناس، وإلا فالأولى إعادة تركيبها.. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلِتَنْزِلْ عَلَيْكُمْ نَفْسٌ مِمَّا قَدْ دُمِّمَتْ لِعَذَابٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ \* وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْزَفَسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) (الحشر/ 19-18). إنَّ ذكر الله سبحانه في النفس البشرية أحسن وأمنع جدار يمكن أن يحيط به الإنسان قلبه، خاصة وأنَّ ذكر الله طمأنينة للقلب كما قال تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد/ 28)، وقال: (وَأذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعًا وَخَيْفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ \* إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ) (الأعراف/ 206-205)، وقال تعالى: (فَإِنَّ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ) (السجدة/ 38)، أمَّا عاقبة الذين ينسون الله وينسون أنفسهم فيتخيلون أنهم حياة وقدرة وعلم وكمال مستقل عن وجود الله، فإنَّ مصيرهم نسيان الله لهم، وعزلتهم عن النصير ومأواهم النار وبئس المصير.. (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) (الجنات/ 34).

ويبقى الهتاف الرباني الخالد خير مرشدٍ للبشرية في مسيرتها الشائكة المتقدمة نحو اليوم المعلوم.. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ فَالَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْفٌ مِائَةٌ مِنْكُمْ) (الحجرات/ 13)، فالتقوى هي الموصول إلى رضوان الله، وهي المعين الذي يتسلك به الإنسان جدران المعاصي لينطلق في رحاب الله حيثُ الجنان والنعيم والحياة التي لا تنطفئ والشريان الذي لا يموت.. ▶

المصدر: كتاب الأخلاق القرآنية